ان الكبير اذا ولا العزل ينقصه • فدرا ذا لا المنصب أماً يشرفه •

وقد وقفت له بخطه على بيت المتنبي

وكذا الكريم اذا اقام ببلدة • سال النضار بها وقام الماء •

قال المفهوم فيه من كلام الواحدي انه اختار كون قوله وقام الماء معطوفا على الجزاء اعني سال فيكون داخلا تحت الشرط لتتم التشبيه في خرق العادة بالامرين ويظهر وجه الاتصال لما بين السببين كما قرره ولا تخلو ان المعطوف على الجزاء جزاء فيحتاج حينئذ الى الجزاء الشرط وتشبيه عنه والذي يظهر لي في وجهه معنى قام الماء جمد تحيرا او خجلا واستعظاما لما راى عظيم سخائه وشاهد عميم جوده وعطائه وقد صرح بتفسير ذلك في البيت الثاني الذي بعده حتى صار كالحبيا حيث قال ان يكون استيبنا فاتيتنا اعني قوله

جمد القطار ولو راته كما راى • بهتت فلم تتبجس الانواء •

اذ الضمير في قوله كما راى يعود الى القطار والمراد بالقطار هو الماء المذكور في البيت الذي قبله لا يخفى والا لم تظهر المناسبة في الاتصال هذا ما خطر بالبال واما ما استفدناه من تجويز كون الواو للحال فذلك الوجه الوجيه تنحسم به مادة الاشكال والله اعلم بحقيقة الحال ومن عجيب الاتفاق قد وقع ما هو قريب من هذا الاسلوب شاهدا في تفسير بيت ابي عمرو من هذه القصيدة على سبيل الاستطراد وهو قوله

لا تكثر الاموات كثرة قلة • الا اذا شقيت بك الاحياء •

يريد محصل ما حكاه الواحدي من كلام ابن جني في تفسير البيت انه على حذف مضاف تقديره شقيت بفقدك والمعنى انه لا تصير الاموات اكثر من الاحياء الا اذا شقيت واستبعد الواحدي ان احدا يخاطب ممدوحه بمثل هذا وبحث اما ذكر الواحدي في معنى البيت انه اراد بالاموات القتلى وتقدير المضاف المحذوف شقيت بقتلك وقتلك اياهم والمعنى اذا غضبت على الاحياء زادت الاموات بمن تقتلهم فتكثر من الاحياء وفي كل من الوجهين تعسف لا يخفى ولكن يشهد لقول ابن جني حكاية ابي عمرو السلمي قال عدت ابا علي الاوارجي ممدوح المتنبي في مرضه الذي مات فيه فانشدني قوله فيه لا تكثر الاموات الخ ثم لم يزل يكرره ويبكي حتى مات وروى السلمي في حكايته بخطه مكان شقيت شغبت ويشهد لقول الواحدي البيت الذي بعده فانه مناسب المعنى الذي ذكره ثم يساعد الاول معاني الابيات التي قبله من وصف عموم كرمه واحسانه للناس فناسب انهم يشقون بفقده ويكادون يموتون لمن بعده فليتأمل وقال الواحدي في تفسير قوله كثرة قلة اي كثرة في الاموات تحصل عن قلة الاحياء ولا يخفى ما في هذا المعنى من كثرة السماجة وقلة الجدوى وتحصيل الحاصل من غير دليل يدل على ان كثرة الاموات مضافة الى قلة غيرهم ولو اريد بها القلة العدم كما هو شائع واقع في الكلام الفصيح لكان اقرب اذ كثرة الاموات في الحقيقة عدم محض وصح ذلك على كل من قولي ابن جني والواحدي ولو اريد

بالقلة

بالقلة الاقلال وقلة الجدوى كما يقال مات فلان من القلة اي الفقر بمعنى انه مات من الاقلال حين انقطع عنهم مكارمه لامكن ايضا وهذا الوجه انما يجري على قول ابن جني ولا بعد فيه لان خطاب الممدوح بمثل ذلك لم يكن مستهجنا عند المتقدمين لظهور حقيقته في الموت الا ترى الى قول ابي نواس في آخر قصيدته التي قالها في تهنئة جعفر البرمكي

وقوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم • بني برمك من رائحين وغادي •

انما دنياحميد • وايادي المحتسم •

فاذا ولى حميد • فعلى الدنيا السلام •

لا سيما اذا كان الممدوح من الاعيان • ولم يكن ذي سلطان

اخوه ابراهيم

هذا الجناب الافضل • والمحل الامنع الاحفل • مكان القول فيه ذو سعة • والالسن كلها على مدحه مجتمعة • فمن يتقدم فليقل ما شاء في وصف شمائله • وتحويل المداح ان تشابه في محامد خلائله • وحسبك من امر لم يزل دائما ولا يشانيا • ولا ذكر يعلم الله انه له في المفضل بانيا • فقد جمع الى كرم اصله • اعظم مزية من باهر كماله • فقضى الحق الواجب عليه • واستدعى حيازة المنتفل بالحجة عليه

فالدر ينثر من يديه وفيه • والخير يجمع عطفيه وفيه •

زهور ريان فدسيم من غير بحج • ومن مجلسه يا رج ارج الزهر • وسماحه يفيض فيض النهر • وعينه في اكتساب المحامد ممنوعة السنات • وخليقة رحيمه كلها قربات محسنات • وهو وحيد الدهر في الادب وفريده • والمحيي الذوق في البلاغة كلها تريده • بينا ان قد قبض على ازمة البيان ولسان قد امتطى صهوة الاحسان • وله في النظم بدع جلايل • الا انها في العزة قلايل • والنجوم اجلها اعلاها • والمعادن اقلها اغلاها

فمن شعره قوله

ان يكن زادني الحسان جمال • اكثر الحسن فيهما كثيرا

فلقد اسس العذار بخدي • مبتني روضة ونطاف زهرا

وهو عم في الاشكال بهي واحي • حينما قد اقادمعي جديدا

وقوله

يا مليحا قد حاز كل الجمال • وحبيبا بفديه روحي ومالي

كلما زدت في هواك غراما • قل صبري وزاد فيك ابتهالي

آه من حسن مبسم لك كالدر • ولحظ يروع الغزال

جد لمغرم دعه اقبل عيون • قد رمته لحاظها بالنبال

لك خد قد صار يخلي بخال • حملته الارداف يعقل الجمال

لك وجه قد اخجل الشمس نورا • لك جيد قد فاق جيد الغزال

لك قد كالرمح يهتز تيها • قد رماني بالسمر عند نبال

Copyright © King Saud University